

مبروك الضائع بين أن يكون أو لا يكون

« نكون أولاً نكون » تلك هي المشكلة . . أى الخالين أكرم لنا وأنبيل ، أتحمّل الرجم بالمقالب ، وتلقى سهام الحظ الأنكد ، أم النهوض لمكافحة المصائب ولو كانت مجرداً عجائزاً ، وبعد جهد الصراع ، إقامة حد دونها ، فنستريح من المتاعب والآلام ؟ »

هذه العبارات الشهيرة التي قالها « شكبير » على لسان أميره (هاملت) في مونلوج (الكيتونة) المعروف لدى طلاب معاهد التمثيل بوجه خاص ، لأنه طالما كان مشهداً من مشاهد الاختبارات لدى طلاب هذا الفن من فنون التعبير . هي التي ضمنها الكاتب المسرحي الشاب « لينين الرملي » مسرحيته الجديدة (مبروك) ولكنه ليس بمجرد التضمين الذي يقابل التضمين الشعري ، حيث يستعير الشاعر المعاصر بيتاً أو أكثر من قصائد الشعر القديم ليضمنها شعره الجديد ، ولكنها هنا وبالإضافة المفتاح الدرامي الذي أداره الكاتب في مسرحيته الجديدة فكانت مفتاحاً لفهم المسرحية والشخصية معاً ، على اعتبار أن اسم المسرحية هو اسم بطلها مبروك !

فشكوى (هاملت) هي نفسها شكوى « مبروك » ، كلاهما يشكو الزمن

والناس والحياة ، وكلاهما يئن ويتوجع من الحب الزدردى ، ومن صلف الأغرار والأدعياء ، ومن كبرياء ذوى المناصب ، ومن سخرية العاجزين بالقادرين ، وكلاهما يعلل سآمته من هذه الدنيا بهذه العلل ، ويوسوس له بإثثار الموت على هذه الحياة .

وصحيح أن هناك فارقاً كبيراً بين « هاملت الشكسبيرى » و « مبروك الرمل » ، ولكنه الفارق فى ظروف المجتمع وفى طبيعة العصر، وليس الفارق فى جوهر الإنسان ، فما هى مأساة هذا « المبروك » ؟

مأساته هى كل مأساة المهويين الأذكياء ، الذين يحاولون عبثاً أن يشقوا لأنفسهم طريقاً فى شوارع الحياة ، لأن الشارع أكثر ازدحاماً بمن سبقوهم ، فليس أمامهم سوى الحارة « السد » ، أوقارعة الطريق . « فبروك البلقاسى » فتى موهوب ، يعشق فن التمثيل ، وطالما تقدم لمسابقة اختيار الوجوه الجديدة ، التى يعلن عنها مدير (فرقة المسرح الكبير) ، فيترك قرينته « بلقاس » إلى القاهرة ، مصطحباً معه قرينته وخطيبته « توحيدة » . . لكى تعاونه فى أداء مشهده التمثيلى أمام لجنة الامتحان .

وفى لجنة الامتحان نرى العجب العجاب . . ألف متقدم ولا ينجح منهم أحد ، فى الوقت الذى يعلن فيه الفنان الكبير « عزيز رشوان » عن تشجيعه للمواهب الجديدة ، ويزداد العجب عندما نرى سداجة الأسئلة وبلاحتها التى توجه للمتقدمين ، ويبلغ العجب الذروة ، عندما تحرص اللجنة على إنجاح من ترى مصلحتها فى إنجاحه ، كأبناء المخرجين والمتخرجين وأبناء ذوى المناصب ، حتى « توحيدة » تنجح فى الامتحان الذى لم تتقدم له ، لا لشيء إلا لأنها فى نظر اللجنة من صاحبات المواهب !!

« مبروك » الموهوب يسقط في الامتحان ، فماذا يفعل ، والفن بالنسبة له هو كل حياته ، بل هو المرادف للحياة ؟ (يكون ، أو لا يكون) . . تلك هي المشكلة وتتضخم المشكلة وتتورم حتى تصبح كما الكارثة ، عندما تعلم أن مشهد الكينونة هذا ، هو الذى أعده للامتحان ، وهو الذى لم ينل عنه شيئاً !

إنه ليس أمام « مبروك » سوى طريق واحد . . (ألا يكون) ومن ثم يفكر في الخلاص من حياته ، من خلال تخصيص الحياة من « عزيز رشوان » ، هذا الذى لا يعرف من وجه الفن سوى القناع . ويقدم بالفعل على محاولة اغتياله ، ولكن جوهر الفنان الذى يكره الموت ويحب الميلاد ، يأبى أن يُلطخ بالدماء ، فينهار أمام أغراء « عزيز رشوان » له بأن يعطيه دوراً صغيراً في مسرحيته القادمة . وينجو « عزيز رشوان » من برائن الموت بهذه الحيلة الماكرة ، بعد أن يدرك نقطة الضعف لدى « مبروك » وبعد أن يلقنه درساً في الحياة ، وكيف أنها غابة من الخائب والأنياب ، لا يسمح فيها الضباع بأن يتركوا أماكنهم للحملان ، إما أن تكون ضبعاً فتأكل ، أو تكون حملاً فتؤكل .

ويعى (مبروك) الدرس تماماً فيقرر هذه المرة ، (أن يكون) . . حتى ولو كان ضبعاً ، ويقرر أن يكون « عزيز رشوان » نفسه هو أولى ضحاياه ، وعلى الفور يهرع إلى « سبيحة سليم » الفنانة الكبيرة والقديمة ، التى أحسن منها عطفاً نحوه ، التى كانت إحدى زوجات « عزيز رشوان » يهرع إليها بوقظ فيها أحاسيس الأثني ، ومشاعر المرأة ، حتى تقع في حبه ، فتكون له فرقة مسرحية يقضى بها على فرقة « عزيز رشوان » ، وتطلق يده في مذكراتها ليكشف من خلالها عن غورات ذلك الفنان الكبير .

وسرعان ما ينقلب (مبروك) إلى رشوان جديد ، سواء في علاقته بالفنانة

القديمة « بهيجة سليم » ، أوفى علاقته بأعضاء الفرقة من أصحاب المواهب الجديدة ، حتى علاقته بزميل كفاحه الممثل نصف الموهوب « فهمى البيومى » تجسد لنا علاقة « عزيز رشوان » بزميل عمره « سيد أبوغزالة » ، الذى مات فى داخله الفن ، وأصبح كما الشاهد على قبر الحياة ، يشير إلى المأساة ، ولكنه لا يدل عليها ، لقد أصبح مجرد خادم لدى « عزيز رشوان » ، أو كما كان يحمله أن يسميه « سيد مشاوير » . .

أما علاقة (مبروك) بحلمه الوردى الجميل ، « توحيدة » ، فقد ضاعت فى زحام الزيف والادعاء ، أصبحت فى خير كان ، بعد أن قرر هو أن يكون . ويعلم « عزيز رشوان » بهذا كله ، فيعاود الكرة ، ويضغط على نقطة الضعف المبروكية مرة أخرى ، يعرض عليه القيام ببطولة مسرحيته الجديدة ، (هاملت) على أمل أن ينقذ فرقة المسرح الكبير من التوقف ، بعد أن توقف « عزيز رشوان » عن التمثيل . وكما البطل الإغريقى الذى يرى قدره ، ولا يملك إلا أن يتجه صوب هذا القدر ، يوافق « مبروك » على العرض ، ويوقع عليه بالقطرة الأخيرة فى حياته ، ناحراً على مذبح هذا العرض قرابين القيم والمبادئ والمثل العليا .

ولكن الخطوة الأولى فى سقوط الإنسان هى الخطوة الأخيرة فى نهاية الفنان ، فأن يعلن « عزيز رشوان » عن افتتاح ليلة العرض الأولى (لمسرحية هاملت) وعن بزوغ نجم الفنان الجديد « مبروك » ، حتى تكون هى ذاتها ليلة العرض الأخيرة ، فيها هو « مبروك » يقف على المسرح فاقد القوى ، خائر الإرادة ، لا يكاد يعي ما يقوله . لأن كلمات « شكسبير » الكبيرة فقدت طعمها فى فم « مبروك » ، وفقدت معناها فى عقله ، وفقدت صدقها فى أعماقه ، فأصبحت كالصوت بدون صدق ، وكالضوء بدون نور . وتلك كانت سقطة (مبروك) التراجيدية ، حاول

أن يوقظ في داخله الفنان ، بعد أن كان قد مات في خلاياه الإنسان ، فبات جثة
تمشى على قدميها فوق المسرح ، وراح الجمهور يمشى في الجنازة الدرامية ، بعد أن
أمر « عزيز رشوان » بأن يسدل الستار .

تلك كانت نهاية « مبروك » الفنان الموهوب الذى حاول أن يلعب بالفن فلعب
به الفن ، والذى حاول (أن يكون ، أو لا يكون) ، فوقف ضائعاً بين حافتي
الوجود والعدم ، حتى بلا حياة . ولقد عرف الكاتب الشاب « لينين الرملى » أن
يفيد من هذا التضمين المسرحى ، لا على مستوى القيمة أو المضمون فحسب ،
ولكن على مستوى المعالجة أو الشكل كذلك ، وذلك بأن مزج على طريقة
« بيراندللو » بين « هاملت » المأساة المسرحية ، و (هاملت) ، المأساة الإنسانية
فجعل المشهد الأخير من مسرحية « مبروك » ، هو مشهد « الكينونة الهاملتى »
هذا ، حيث يسدل الستار على المسرحية الضمنية ، وعلى المسرحية بوجه عام ،
وكأنما اختلط الواقع بالحياة أو الحقيقة بالإيهام .

كما عرف كيف يزاوج باستمرار بين « هاملت » اللون ، « ومبروك » النظل ،
فكانت هناك إحالة متبادلة بين مأساة الأمير الحزين ، ومعاناة القروى الموهوب ،
دونما ابتعاد أو انعزال عن تجسيد النواقص والسلبيات التى تعشش في سرايب حياتنا
الفنية ، ودهاليز واقعنا الاجتماعى .

ومن الواضح ، أنه حرص على المزج بين الكوميدي والتراجيدي في معالجته
لهذه « التيمة » القديمة والجديدة معاً ، فيما يعرف بالمأساة الكوميديية أو الكوميديا
السوداء ، ولكن هذا المزج كان من قبيل حاصل الجمع ، ولم يكن من قبيل
المحصلة الفنية ، بمعنى أنه لم يكن مزجاً عضوياً تكاملياً ، بمقدار ما كان تطعياً
للمأساة بعناصر كوميديية ، بل إن المسرحية مثلاً بدأت بمشهد كوميدي وانتهت

بمشهد تراجيدى ، مما أعطى فى النهاية الانطباع بأننا أمام مأساة كوميدية تنقصها معاً الكوميديا والمأساة .

على أن أهم ما يؤخذ على الكاتب فى معالجته لمضمونه المسرحى ، هو تركيزه على شخصية البطل « مبروك » سواء من حيث مهاراته البدنية ، أوقدراته التعبيرية ، أوبراعته فى التنقل بين الكوميدي والتراجيدى ، وهذا فى ذاته ليس عيباً ، ولكن ما يعاب هو أن يجيء هذا كله على حساب باقى الشخصيات من ناحية ، وعلى حساب إيقاع الحدث من ناحية أخرى ، فمثلاً ، شخصية « توحيدة » لم تتطور بعد الفصل الأول تطوراً درامياً يلائم الجو الجديد الذى انساقت إليه ، ويتوازن مع تطور شخصية « مبروك » . كذلك شخصية « عزيز رشوان » برغم ثقلها الحقيقى فى تطوير الحدث ، فإنها كانت باهتة اللون فاترة الإيقاع ، لانتكاد تحرك أوتتحرك . أما شخصية « فهمى البيومى » فكانت ضائعة بين الكاراكتر التمثيلى وبين النمط المسرحى ، دون أن تخرج منهما بمركب درامى جديد .

وعلى الجانب الآخر نجد أن اهتمام الكاتب بتفصيل دور « مبروك » على مقياس معين ، هو الذى أدى إلى مط الأحداث ، وإحداث نوع من الخلخلة فى تركيب المشاهد ، وبناء الفصول ، وبالتالي فى المعمار الدرامى كله . فما أكثر المشاهد التى كانت زائدة على ممكنات الممثل وعلى إمكانات الدور ، اللوحة الغنائية مثلاً ، مشهد المبارزة ، تقمص شخصية المنتج العالمى ، فضلاً عن الكثير من مشاهد التدريبات البدنية ، وهذا كله مما وضع الممثل الصاعد « محمود الجندى » فى مأزق تمثيلية ، أظهرته كمن يرتدى ثوباً أوسع من حجمه بكثير ، بل أظهرته كمن لا يستطيع أن يملأ فراغات هذا الدور ، وبرغم موهبة هذا الممثل وقدراته الكوميدي والتراجيدية ، فإنه أزم نفسه أوأزمه الدور بما لا يلزم ، فإله هو ومشهد المبارزة ،

وماله وحركات الإبهام البدني التي لم يستطيع أن يؤديها ، بل ماله والغناء الذي لم يكن نظرياً ولا كاريكاتورياً ، بل أكاد أقول ماله وشخصية « هاملت » الأمير الفارع الوسيم ، الذكي المثقف ، سليل الدم الملكي الأزرق .
وما يقال عن (محمود الجندى) يقال مثله عن (سامي فهمي) الممثل الواعد الذي يمتاز بحضوره المسرحي ، ويتميز بذكائه الخاصة في الأداء التمثيلي ، كان ضائعاً في دوره ، غير قادر لا على تسيط الدور ، ولا على تدويره ، وبالتالي لم يؤثر تأثيره الحقيقي في وجدان الجمهور ، ولم يشكر الجمهور فضله لأنه لم يكن له فضل على الإطلاق .

أما الممثل الكبير (محمود المليجي) فكان كبيراً باسمه وبحضوره المسرحي ، وعلى الرغم من أن الدور لم يعطه شيئاً فإنه استطاع أن يعطي الدور كل شيء ، كان مجرد حضوره مما ينعش المشهد ويضفي عليه القوة ، وحتى صمته كان بليغاً وقادراً على التعبير ، ولو أن الدور خدم هذا الفنان الكبير ممثل ما خدمه هو ، لكان ذلك في صالح العرض ككل .

ولجحت الفنانة (صفاء أبو السعود) في أن تعرف بمهارة كيف تفيد من دورها ، وكيف تستثمر المساحة التمثيلية في دور « نوحيدة » لتتألق من خلالها فوق المسرح ، معتمدة فحسب على براعتها في تقمص الشخصية القروية الساذجة ، التي لا تخلو من الذكاء الفطري ولا من خفة الدم ، أما براعتها في الرقص الاستعراضى ، والأداء الغنائى ، فقد لجحت في جعلها عاملين مساعدين للعمود الفقري في دورها ، وهو الأداء التمثيل ، فكانت بحق أبرز من في العرض المسرحي .

ثم يجيء الفنان « حسن عابدين » ، بأصالته الفنية ، وتميزه الكوميدي ، ليضفي الحيوية على كل مشهد ، ويثر الضحكات فوق كل لوحة ، وبرغم مبنودرامية

دوره ، فإنه عرف كيف يؤديه بذكاء تمثيلي نادر ، أشاع البهجة والمعاناة معاً في وجدان الجمهور ، أما الفنانة العريقة « زوزو حمدي الحكيم » فلا أدري ماذا أقول عنها ، أو ماذا أقول لها ، ظلمت نفسها ، وظلمت دورها ، وظلمت ماضيها الفني القديم . . . سامحها الله .

والكلام عن الأداء التمثيلي يجرنا بالضرورة إلى تناول الإخراج المسرحي ، الذي لا يمكن إغناؤه من مسئولية توزيع الأدوار ، فعلى عاتق المخرج تقع مسئولية سوء توزيع الأدوار سواء على « محمود الجندى » أو « سامى فهمى » ، أو « زوزو حمدي الحكيم » كما تقع على عاتقه أيضاً مسئولية الإيقاع البطيء ، فى حركة المسرحية ، والذي أدى إلى الشعور بالإطالة والإملال . وعلى عاتقه أخيراً تقع مسئولية الهاية التراجيدية التى لا تتسق وهذه المسرحية الكوميديّة ، أو حتى « التراجيكوميدية » ، ولو أن هذا جميعه لا يتقص من المجهود الإخراجى الكبير الذى بذله المخرج الموهوب « شاكر عبد اللطيف » ، واستطاع فى النهاية وبرغم كل شيء ، أن يثبت قدرته على الإخراج الكوميدي ، إدارة للحوار ، وتحريكاً للشخصيات ، وبجهداً للنص ، ووصولاً إلى الجمهور .

وأخيراً يجيء الفنان الموسيقى « جمال سلامة » ليقف فى التلحين الغنائى ، أكثر من توفيقه فى الموسيقى المسرحية ، كانت الموسيقى أشبه بموسيقى الملاحى النبيلة ، التى لا تكاد تتصل بالمضمون المسرحى من قريب أو بعيد ، كانت موسيقى عصرية تعتمد على الإبهار الصوتى أكثر من اعتمادها على تعميق فكرة ، أو إثارة مشاعر ، أو مخاطبة وجدان . أما ديكور (نهى براقة) فنستطيع أن نستبعد منه مشهد « هاملت ، وأوفيليا » الأخير ، ثم مشهد بيت الفنانة « بهيجة سليم » . اللذين كانا

دون المستوى بكثير، لنقول إنها كانت موفقة بوجه عام في باقي ديكورات المسرحية .

تلك المسرحية .. المساوية الكوميديا التي كانت تنقصها حقاً الكوميديا والمأساة ، والتي لا نستطيع معها إلا أن نقول (لفرقة المسرح الجديد) .. إنه برغم كل شيء .. « ميروك » ! !